مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

حفظ النعم وزوالها في القرآن الكريم.

Preservation of blessings and their disappearance in the Holy Quran

د. العربي لخنيك

أستاذ مؤهل بجامعة مولاي إسماعيل- مكناس المغرب.

تخصص: أصول الفقه.

D.Larbi Lakhnig (Qualified professor at the University of Moulay Ismail, Meknès, Morroco)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ملخص:

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان في أحسن تقويم، وأحاطه بألوان من النعم، منها العاجل والآجل، ومنها المعلوم والمرجو، ومنها الظاهر والباطن، ومنها المادي والمعنوي، وغير ذلك مما لا يدخل تحت العد والحصر. والنعم ليست على وزان واحد، ولا تُعلم حقيقة ذلك إلا من طريق الوحي؛ فجعل سبحانه معرفته أسمى النعم و جعل سلامة الأبدان دون ذلك. ومرجع ذلك أن قيم اللّذائذ إنما تعرف بما تؤول إليه. وقد جعل الحق سبحانه أسبابا لتحصيل هذه النعم وحفظها، كما بيّن أسباب زوالها، و بيّن سننه في ذلك. وكلّ ذلك خدمة للغاية من وجود الانسان، وبيانا للمسالك والمهالك.

وإذا كان القرآن أعظم باب للمعرفة ، من حيث كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإن سبر أغوار مفاهيمه وما تكتنزه من قضايا ومسائل علمية يقتضي استقراء موارد ألفاظه وما يدخل في أُسرها المفهومية في آيات القرآن والصحيح من نصوص السنة ودراستها وفق منهج علمي رصين.

وإذا كان لكل موضوع منهجه الخاص به، فإني أحسب أن السبيل الأقوم لدراسة المفاهيم القرآنية وقضاياها هو اعتماد المنهج الوصفي المرتكز على الدراسة المصطلحية، ذلك أنه أصح ما في الباب. و عملية البحث وفق هذا المنهج تمر عبر استقراء النصوص التي ورد بها مصطلح النعمة في القرآن الكريم ، ثم دراسة المعاني في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، لمعرفة المعاني التي يدور حولها الجذر اللغوي، ودلالة الاستعمال في نصوص الوحي، وما يتصل بكل ذلك من شروح، كل ذلك بغرض استخلاص الخصائص والمسائل العلمية المتصلة باللفظ المدروس من اسباب وأنواع وموانع ومراتب وغير ذلك .

الكلمات المفتاحية :– النعم– الحفظ– الزوال–السّنن.

Abstract:

Allah Almighty certainly created man in the most perfect form and gave him various kinds of blessings, both immediate and later, known and hoped for, apparent and hidden, material and moral, etc. God's blessings are not on the same scale, and the actual measure is known only to Allah. Glory to Him, He made His knowledge the highest of blessings, and He prioritized the safety of bodies less than that. The reason is that the value of blessings is determined by their results. Allah Almighty has established the means to obtain and

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

preserve these blessings, explaining the causes of their disappearance and His laws in this regard.

Since the Quran is the highest source of knowledge as the word of God, it remains untouched by falsehood from any direction. Therefore, exploring the depth of its concepts and scientific knowledge requires extrapolating its accurate Quranic verses and Sunnah texts and studying them with a precise scientific method.

Considering that each subject requires its unique approach, the most suitable method for studying Quranic concepts is to adopt the descriptive approach based on terminological study, as it is the most accurate method in this field. The research process according to this approach involves extrapolating the texts mentioning the term "blessing," then studying the meanings of this term in linguistic and idiomatic dictionaries to understand its linguistic usage and meanings in Quranic verses. This helps extract the characteristics and issues related to the term studied, such as causes, types, contraindications, etc.

Keywords: Blessings - Preservation - Disappearance - Laws.

مقدمة:

الحمد لله خالق الخلق ومالك الملك ومدبّر الأمر ، القائل في محكم تنزيله: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) (النحل: 53)،فهو تبارك اسمه وتعالى جَدّه ولا إله غيره هو المنعم بحقّ بألوان النعم التي لا يقدر أحد من مخلوقاته من أهل السماوات والأرض على إحصائها، فإيجادهم نعمة منه، وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه، وإعطاؤهم الأسماع والأبصار والعقول نعمة منه؛ يقول تعالى:(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل 78). وهو سبحانه من يجري الأرزاق باختلاف أنواعها واصنافها على خلقه نعمة منه، وهو الذي أودع في العباد آلة العلم والمعرفة، فجعل لهم السبيل إلى التعرّف عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله فضلا منه. وهو الذي أرشدهم إلى ذكره بأن أجرى ذلك على السنتهم وأودع محبته ومعرفته في قلوبهم نعمة منه، وهو الذي يحفظ وجودهم ويقيهم المهالك بإرشادهم إلى سننه وأحكامه التي بها النجاة والسلامة في الدنيا والاخرة. وهو الأعلم بمصالح العباد؛ فدلّهم على سبل حفظها من جانبي الوجود والعدم. كل ذلك بنعمة منع سبحانه وتعالى. ولو بقينا الدّهرَ كلّه نعدّد هذه النعم ما أحصيناها؛ (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النحل:18)؛ فهي غير متناهية، وهي من الدقّة ما يجعل الإحاطة بها أمرا في غير مقدور أي أحد سوى المنعِم بها.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن البحث في موضوع النعم، نعمة في حدّ ذاته، حيث إن معرفة حقيقتها، وأسباب تحصيلها وحفظها، ومعرفة عوامل زوالها، وسبل استرجاعها وحفظها، وسنن الله في ذلك، وما يتعلق بكل ذلك من حقوق المنعِم في أعناق المنعَم عليهم؛ كل ذلك يزرع في الباحث استشعار أهميتها ومعرفة ما عليه من واجبات إزاءها وما للمنعم من حقوق عليه.

والبحث في المفاهيم القرآنية ليس تربّصا علميا حرّا، بل إنه في حقيقته نهلٌ من كتاب الله وتلمذة على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فالقرآن سبيل المعرفة والسنة سبيل البيان، ولا تدرك حقائق وأسرار ألفاظ القرآن إلا من طريق الوحي وما يتصل به من علوم. لذلك فإن استقراء آيات القرآن والصحيح من نصوص السنة ودراستها وفق منهج علمي رصين، هو السبيل الوحيد لمن رام اليقين والقطع في فهم مفاهيم وقضايا الوحي . وقبل ذلك وأثناءه وبعده، يجب أن لا يغيب عن الباحث في مثل هذه المواضيع وغيرها، أن الفهم نعمة، ومن بركة النعمة وشكرها نسبتها إلى صاحبها سبحانه وتعالى ، وأن المعرفة منها يدرك بالجهد، ومنها ما يودعه الحق سبحانه في قلوب عباده نعمة منه سبحانه وتعالى وفضلا، وكل ذلك وفق مشيئة الله تعالى. فالباحث يجب أن يستشعر أنّه لا بد منه ولا شيء منه، إلا بتوفيق الله تعالى؛(قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ، فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (النساء: 78). فالعبد مطلوب إليه الإحسان في إيجاد الأسباب مع عدم الوقوف معها، لأن ربط المفعولات بها شرك؛ فالله تعالى هو مسبّب الأسباب ومرتّب النتائج عليها، وكل ذلك نعمة منه سبحانه.

ونظرا لأن قيام كل شيء بالنعم، فقد بيّن لنا الحق سبحانه صنوفها، فجعل منها اللذائذ المادية والمنافع المعنوية، وأرشدنا سبحانه إلى سبل تحصيلها من أبواب الطاعات والقربات والموافقات. كما حذّرنا من المخالفات التي تذهب تلك النعم وتمحقها. وكل ذلك وفق سنن لا تحابي أحدا، أودعها الله سبحانه في وحيه لتكون معالم وصوى للمسترشدين. ومن رحمته سبحانه وتعالى، جعل لنا ما نقيّد به تلك النعّم حتى لا تتفلّت، و جعل لنا السبل لا سترجاعها بعد زوالها.

المبحث الأول: مفهوم النعمة :

المطلب الأول: تعريف النعمة:

يدور المعنى اللغوي للفظ النعمة ومشتقاته حول الرّغد والصلاح والحالة الحسنة، ومعناهما واحد؛ قال ابن فارس "النون، والعين، والميم، فروعه كثيرة، وهي على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفُّه، وطيب عيش، وصلاح، منه النعمة: ما يُنْعِمُ الله تعالى على عبده به من مال وعيش، يقال: لله تعالى عليه نعمة. والنعمة: المِنَّة، وكذا النعماء. والنعمة: التنعم وطيب العيش. وتَنَعَّم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش. ويقال: نعَّمه تنعيماً فتنعم، أي: جعله في لين عيش وخصب، قال سبحانه:(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه) (الفجر:15). و(النعمة) المال، يقال: فلان

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

واسع النعمة. ويقولون: نَعَمْ وَنُعْمَى عين، وَنُعْمَةَ عين، أي: قُرة عين. ونَعِمَ الشيء من النعمة. وقد نَعَّم فلان أولاده: ترَّفهم. وتَنَعَّمَ الرجل: مشى حافياً. ونَعِمَ اللهُ بك ونَعِمَكَ، وأَنْعَمَ بك عيناً: أَقرَّ بك عين من تحبّه، أو أقرّ عينك بمن تحبّه"[1]. وجاء عند الجوهري:" النِعْمَةُ: اليدُ، والصنيعةُ، والمنَّةُ، وما أُنْعِمَ به عليك. وكذلك النُعْمى. فإن فتحت النون مددت فقلت: النَعْماءُ. والنَعيمُ مثله. وفلانٌ واسعُ النِعْمَةِ، أي واسع المال"[2].

وجاء في "المفردات": النِّعْمَةُ: الحالةُ الحسنةُ، وبِنَاء النِّعْمَة بِناء الحالةِ التي يكون عليها الإنسان كالجِلْسَة والرِّكْبَة، والنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ، وبِنَاؤُها بِنَاءُ المَرَّة من الفِعْلِ كالضَّرْبَة والشَّتْمَة، والنِّعْمَةُ للجِنْسِ تقال للقليلِ والكثيرِ. قال تعالى:(وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) (النحل:18). و(النعيم) النعمة الكثيرة، قال سبحانه: (في جنات النعيم ((يونس:9) "[3].

المطلب الثاني: معاني النعمة في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (نعم) وما اشتق منها في القرآن الكريم في مائة و ثمانية وثلاثين موضعا، وقد جاءت بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم بالمعاني الآتية:

الأول: الصلاح والحالة الحسنة والمُستلذّة؛ من ذلك قوله تعالى :(وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (لقمان:20)، وتشمل الهيئة الحسنة للظاهر والباطن؛ قال ابن الجوزي:" روى الضحاك عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: " أما ما ظهر: فالإسلام، وما سوى الله من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق . وأما ما بطن: فستر مساوئ عملك، ولم يفضحك. وقال الضحاك: الباطنة المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء"[4].

وهذه النعم العامة غير متناهية ولا تدخل تحت العد والحصر ؛ قال تعالى:(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (النحل:18)؛ قال البيضاوي:" لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها ، فإنها غير متناهية، وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة"[5]، فقد استأثر الله تعالى بمعرفة حجمها ولم يجعل لنا سبيل لإدراكها بتمامها؛ قال الزمخشري:"

---

[1] – مقاييس اللغة لابن فارس باب النون والعين وما يثلثهما مادة(نعم) (5\446).

2 – كتاب الصحاح في اللغة والعلوم للجوهري، حرف النون مادة(نعم)، ص 239.

3 – كتاب المفردات في غريب القرآن مادة نعج ص814

4 – زاد المسير لابن الجوزي (6\324).

[5] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، لناصر الدين البيضاوي ت 685 هـ (3\200).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها، هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال، وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله".[1]

الثاني: النعمة بمعنى الحجّة والمِنَّة، من ذلك ما جاء في القرآن الكريم في شأن بني إسرائيل في قوله تعالى:(اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) (البقرة:40)؛ قال الرازي:" اعلم أنه تعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرنه بالوعيد"[2]. فقد امتن الله تعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة، وذكّرهم وذريتهم بها لتكون عليهم حجّة وحتى لا يتكرر نفس الطغيان مع النبي الذي أرسل للعالمين، فقد ذكر الحسن البصري أنه أراد نعمه على آبائهم، إذ نجاهم من آل فرعون، وجعل منهم الأنبياء، وأنزل عليهم الكتب، وفجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، والنعم على الآباء، نعم على الأبناء، لأنهم يشرفون بشرف آبائهم"[3]؛ فالله تعالى يقيم عليهم الحجة بكل تلك النعم، "وكان من شأنها أن تحملهم على الشكر والطاعة ، ولكنهم وهم أهل حسد وحقد على الناس ، اتخذوها ذريعة للكفر والطغيان ، وحسبوها اختصاصا من الله تعالى وتدليلا ، وقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فزادوا بالنعمة كفرا وطغيانا"[4].

ثالثا: النعمة بمعنى الوحي والرسالة، من ذلك قوله سبحانه: (ومن يُبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب) (البقرة:211)، يعني بالنعمة الإسلام، وما جاء فيه من شرائع للناس كافة إلى يوم الدين؛ قال الطبري:" عني "بالنعم" جل ثناؤه : الإسلام وما فرض من شرائع دينه، ويعني بقوله : " ومن يبدل نعمة الله " ومن يغير ما عاهد الله في نعمته التي هي الإسلام ، من العمل والدخول فيه فيكفر به ، فإنه معاقبه بما أوعد على الكفر به من العقوبة ، والله شديد عقابه ، أليم عذابه"[5]. وقد قرر الزمخشري نفس المعنى في تفسيره لهذه الآية بقوله:" و نعمة الله : آياته، وهي أجل نعمة من الله; لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة، وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم"[6]. فالمقصود في هذه الآية بيان ما منّ الله به تعالى على بني إسرائيل من آيات بينات ليهتدوا بها من

---

[1] – تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري (3\382).

[2] – تفسير روح المعاني المسمى التفسير الكبير لفخر الدين الرازي(3\50).

[3] – النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (1\111)

[4] – زهرة التفاسير لأبي زهرة (1\206).

[5] – تفسير الطبري (4\273).

[6] – تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري (1\420).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق والهداية والفلاح، وهي أعظم نعمة يمكن أن ينعم بها العباد، لأن فيها النجاة وحسن العاقبة؛ فاستحقّوا بتبديل تلك النعم نقمة الله وعقابه. يقول الطاهر بن عاشور:" وقوله ومن يبدل نعمة الله تذييل لجملة سل بني إسرائيل كم آتيناهم إلخ ، أفاد أن المقصود أولا من هذا الوعيد بنو إسرائيل المتحدث عنهم بقوله : سل بني إسرائيل ، وأفاد أن بني إسرائيل قد بدلوا نعمة الله تعالى فدل ذلك على أن الآيات التي أوتيها بنو إسرائيل هي نعم عليهم وإلا لما كان لتذييل خبرهم بحكم من يبدل نعم الله مناسبة وهذا مما يقصده البلغاء ، فيغني مثله في الكلام عن ذكر جمل كثيرة إيجازا بديعا من إيجاز الحذف وإيجاز القصر معا; لأنه يفيد مفاد أن يقال : كم آتيناهم من آية بينة هي نعمة عليهم فلم يقدروها حق قدرها ، فبدلوا نعمة الله بضدها بعد ظهورها فاستحقوا العقاب ; لأن من يبدل نعمة الله فالله معاقبه"[1]. وبما يقرب من هذا المعنى، جاء قوله تعالى:(واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) (آل عمران:103). حيث إن المقصود بالأصالة هنا ما يتحقّق بسبب الاسلام من محبّة وأخوة وسلامة ذات بَينٍ؛ قال الزمخشري:" كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف الله بين قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا "إخوانا": متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف، وهو الأخوة في الله"[2]. وسبب تلك النعمة العظيمة هو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اختاره الله وتعالى وصنعه ليكون حاملا لرسالة الاسلام إلى العالمين؛ قال تعالى: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) (ابراهيم :28)، قال الطبري:" غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه ، فجعلوها كفرا به ، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا في نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله به على قريش ، فأخرجه منهم ،وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم ، ونعمة منه عليهم ، فكفروا به ، وكذبوه ، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا"[3].

الرابع: النعمة بمعنى الإيمان؛ وقد ذكر ذلك المفسرون في بيان معنى قوله تعالى: (فضلا من الله ونعمة) (الحجرات:8) أن المعنى أنّ الله حبب لعباده الإيمان، وأنعم عليهم هذه النعمة التي عدها فضلاً منه، وإحساناً ونعمة منه أنعمها عليهم. ومن هذا القبيل قوله سبحانه :(إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) (الزخرف:59) "أي: فما عيسى عليه السلام إلا عبد من عباد الله، أنعم عليه بالتوفيق والإيمان، وجعله آية لبني إسرائيل، وحجة لله عليهم،

[1] – تفسير التحرير والتنوير (2\288).

[2] – تفسير الكشاف للزمخشري(1\601).

[3] – تفسير الطبري(17\5).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً"[1].

الخامس: النعمة بمعنى الأمن والاستقرار وصلاح الحال؛ وذلك مصداق قوله تعالى:(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله) (النحل:112)، هذا الكفران دليله السعي في الأرض بالفساد والفتنة في أرض الله التي أنعم الله عليها بنعمة الاستقامة على الدين والأمن والأمان وزرع بذور الفتنة التي تحرق نارها البلاد والعباد ويتعدّى شرها المستطير إلى من لم يحضرها؛ يقول ابن الجوزي:" وبيانه ما روى سليم بن عنز ، قال : صدرنا من الحج مع حفصة ، وعثمان محصور بالمدينة ، فرأت راكبين فسألتهما عنه فقالا : قتل ، فقالت : والذي نفسي بيده إنها للقرية ، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه :(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) ، تعني حفصة : أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، (فكفرت بأنعم الله) عند قتل عثمان رضي الله عنه . ومعنى (كانت آمنة) أي : ذات أمن يأمن فيها أهلها أن يغار عليهم ، (مطمئنة) أي : ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق . وقوله :(من كل مكان) أي : يجلب إليها من كل بلد ، وذلك كله بدعوة إبراهيم عليه السلام ،(فكفرت بأنعم الله) بتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

والقرية المذكورة هنا ليست إلا مثالا لكل الأمم الظالمة والطوائف المنحرفة الخارجة عن منهج الله القويم، الساعية في الأرض بالضلال والفتن؛ يقول الزمخشري:" (وضرب الله مثلا قري): أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها، (مطمئنة): لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف"[3].

السابع: النعمة بمعنى الثواب، جاء هذا المعنى في قوله سبحانه:(يستبشرون بنعمة من الله)(آل عمران:171)؛ قال ابن عطية:" كد تعالى استبشارهم بقوله: "يستبشرون بنعمة" ثم بين تعالى بقوله: "وفضل" فوقع إدخاله إياهم الجنة الذي هو فضل منه لا بعمل أحد، وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنها على قدر الأعمال"[4]. ويقول الزمخشري:" بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به، وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة،

---

[1] – تفسير الطبري (1\628).

[2] – زاد المسير لابن الجوزي(4\500).

[3] – تفسير الكشاف للزمخشري (3\478).

[4] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (2\421).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم، وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله، وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب، وكرر "يستبشرون" ليعلق به ما هو بيان لقوله: ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع"[1].

الثامن: النَّعمة بمعنى التّرف، والترف شيء آخر غير الغنى وسعة الرزق؛:"الاشتغال بالمال واللذات ، وإيثار ذلك على الآخرة"[2]، و"المترف الذي أبطرته النعمة وسعة المعيشة"[3]، فالترف اشتغال بالنعمة عن المنعم وكفرانها؛ قال تعالى:(وذرني والمكذبين أولي النَّعمة ومهلهم قليلا) (المزمل:11) ؛ والنّعمة بالفتح التنعّم، وبالكسر: الإنعام وبالضم: المسرة[4]، لذلك فالمقصود في هذه الآية الترفّه بالمال مع كفران النعمة؛ قال السعدي:" قوله: أولي النعمة أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله كما قال تعالى:(إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) (العلق:6)" [5]. يقول تعالى: (واتّبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين)؛"أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتّترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم"[6].

التاسع: النعمة بمعنى لزوم الاستقامة؛ يقول تعالى في سورة الفاتحة: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم) (الفاتحة:7)، يقول ابن الجوزي: " اهدنا الصراط المستقيم أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان ، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به

---

[1] – تفسير الكشاف للزمخشري (1\658).

[2] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (9\100).

[3] – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (18\60).

[4] – التفسير الكبير للرازي(30\160) والكشاف للزمخشري(2\246).

[5] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (8\1898).

[6] – الكشاف لجار الله الزمخشري:(3\ 246).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك. وهذا الصراط المستقيم هو: صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"[1]. فالإنعام المقصود هنا هو لزوم منهج الهداية والتوفيق، الذي سلكه من ثبّته الله على الإيمان من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فنالوا بذلك أفضل الدرجات.

العاشر: النعمة بمعنى الاستدراج؛ من ذلك قوله عز وجل:(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن) (الفجر:15) أي:" يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا قدر عليه رزقه أي: ضيقه، فصار بقدر قوته لا يفضل عنه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان: بقوله كلا أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل"[2]. وقد تكرر في القرآن الكريم التعرض لبيان حال الاستدراج بالنعم العاجلة ومن ذلك قوله تعالى: (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) (المؤمنون 55). قال الزجاج:" قال الزجاج[3] : المعنى : أيحسبون أن الذي نمدهم به " من مال وبنين " مجازاة لهم ؟ إنما هو استدراج"[4]. ويقول الرازي:" هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم في المعاصي، واستجرارا لهم في زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة في الخيرات، و (بل) للاستدراك لقوله: (أيحسبون) يعني بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا في ذلك، أهو استدراج أم مسارعة في الخير"[5].

الحادي عشر: النعمة بمعنى العافية والسلامة والنجاة؛ وقد ورد هذا المعنى للنعمة في قول الله تعالى:(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) (آل عمران:174)؛ يقول الطبري:" "بنعمة من الله" ، يعني : بعافية من ربهم ، لم يلقوا بها عدوا"[6]، فقد عادوا سالمين، وهذا معنى: (لم يمسسهم سوء) أي: لم تنزل بهم جراح، بل إنه حتى الأمر الذي يسوء

---

[1] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (1\31).

[2] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان للسعدي (1\1967).

[3] – أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (241 هـ – 311 هـ) نحوي من العصر العباسي.

[4] –تفسير زاد المسير لابن الجوزي (5\478).

[5] – التفسير الكبير للفخر الرازي(23\91).

[6] – تفسير الطبري(7\414).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هم لم يمسسهم بل قد عادوا فرحين مستبشرين؛ عادوا كما خرجوا لم يقتلوا ولم يقاتلوا، و صحبتهم في هذه العودة نعمة السلامة إذ خذل الله أعداءهم وثبطهم وألقى الرعب في قلوبهم وأحسوا بأنهم وحدهم لا قبل لهم بمحمد. وروى البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال : النعمة أنهم سلموا ، والفضل أن عيرا مرت في أيام الموسم ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فربح فيها مالا ، فقسمه بين أصحابه"[1] .

الثاني عشر: النعمة إتمام الشرائع وإكمال الدين بتشريع الرّخص؛ وذلك تخفيفا على الأمة وللتيسير عليها في وقت الشدّة والمشقة؛ وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: (وإن كنتم جنبا فاطّهّروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهرّكم وليُتمَّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون) (المائدة:6).يقول ابن الجوزي: "قوله تعالى: (وليتمّ نعمته عليكم): في الذي يتم به النعمة أربعة أقوال ؛ أحدها: بغفران الذنوب ...والثاني: بالهداية إلى الإيمان ، وإكمال الدين ، وهذا قول ابن زيد والثالث: بالرخصة في التيمم ، قاله مقاتل ، وأبو سليمان .والرابع: ببيان الشرائع ، ذكره بعض المفسرين"[2]. ويقول القرطبي:" وليتم نعمته عليكم أي : بالترخيص في التيمم عند المرض والسفر ، وقيل : بتبيان الشرائع ، وقيل : بغفران الذنوب ; وفي الخبر (تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار) . لعلكم تشكرون أي : لتشكروا نعمته فتقبلوا على طاعته "[3]. وإلى نفس المعنى ذهب الطاهر بن عاشور بقوله:" وقوله : وليتم نعمته عليكم أي يكمل النعم الموجودة قبل الإسلام بنعمة الإسلام ، أو ويكمل نعمة الإسلام بزيادة أحكامه الراجعة إلى التزكية والتطهير مع التيسير في أحوال كثيرة . فالإتمام إما بزيادة أنواع من النعم لم تكن ، وإما بتكثير فروع النوع من النعم" [4]. وذهب الزمخشري إلى أن المقصود بالنعمة هنا إتمام العزائم بالرخص وهو من كمال الدين أيضا، حيث يقول:" وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم "[5].

المبحث الثاني: أنواع النعم: أقسام النعم في القرآن الكريم:

النعم أصناف كثيرة، وتنقسم باعتبارات عدّة إلى عدة اقسام:

---

[1] – محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي(4\1040).

[2] – تفسير زاد المسير لابن الجوزي (2\299).

[3] –.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (6\47).

[4] – تفسير التحرير والتنوير (6\126).

[5] – تفسير الكشاف للزمخشري (2\201).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أولا:بحسب زمانها:

دلت نصوص الوحي أن من النعم ما يعجّله الله لعباده في الدنيا، ومنها ما يدّخره ليوم القيامة، وكل ذلك بحكمة منه سبحانه وتعالى، ولا يعلم حقيقة ذلك بتمامه إلا الله تعالى، وفي ذلك يقول تعالى في سورة النحل وهي سورة النّعم: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) (النحل:30) وفي آية أخرى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (النحل: 41). وقال في هذه السورة: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل: 97)، وغيرها من الآيات التي يبين فيها الحق سبحانه أن النعم ليست مقتصرة على ما يدركه الانسان في الدنيا، بل تشمل ما سوى ذلك مما هو في علم الله في الآخرة؛ يقول ابن القيم"فقد تكرَّر هذا المعنى في هذه السورة دون غيرها في أربعة مواضع لسرٍّ بديع، فإنها سورة النِّعم التي عدَّد الله سبحانه فيها أصولَ النعم وفروعَها. فعرَّف عبادَه أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعافَ هذه بما لا يُدرَك تفاوتُه، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعمًا أخرى؛ ثم في الآخرة يوفِّيهم أجورَ أعمالهم تمامَ التوفية. وقال تعالى: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ)"[1]. فالحياة الطيبة قوامها الرزق الحلال الحسن الطيب؛ يأكل حلالا ويلبس حلالا ويركب حلالا، وينعم الله عليه بالقناعة التي هي ملاك الأمر كله، حتى إذا صار العباد إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

ثانيا: أقسام النعم باعتبار النّفع والضر:

جعل الله سبحانه وتعالى اللّذائذ ألوانا، وجعل منها النافع والضار، بحسب مشيئته سبحانه. فليس كل ما يظهر للرائي لذّة هو فعلا نعمة، فقد يكون المنع عين العطاء وقد يكون العطاء حين السّلب، وكل ذلك باعتبار الحال والمآل، ولا يدرك ذلك إلا أولو الألباب؛ يقول الإمام الغزالي:" الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى: ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق ،وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً كالجهل وسوء الخلق ،وإلى ما ينفع في الحال المضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوة، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس. فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقاً والضار فيهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع في الحال في

[1] – كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين. ص519.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال"[1].

ثالثا: لإقسام النعم: بحسب تجددها واستمرارها:

تنقسم النعم بهذا الاعتبار إلى قسمين: مستمرة ومتجددة، ولكل واحدة منها سبيل إلى شكرها" فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شرع لها سجود الشكر، شكرًا لله عليها، وخضوعًا له، وذلًا، في مقابلة فرحة النعم وانبساط النفس لها، وذلك من أكبر أدوائها، فإن الله سبحانه لا يُحبُّ الفَرِحين ولا الأَشِرين، فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لرب العالمين، وكان في سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ما ليس في غيره. ونظير هذا السجود عند الآيات التي يُخوّف الله بها عباده كما في الحديث: (إذا رأيتم آية فاسجدوا) "[2].

ولما انكسفت الشمس هرع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة والذكر، إلى الصلاة، وأمر بذلك أصحابه، والسبب في ذلك أن الكسوف من الآيات المتجددة ، لذلك شرعت أثناءها الصلاة والسجود؛ يقول ابن القيم:" ومعلوم أن آياته تعالى لم تزل مشاهدة معلومة بالحسّ والعقل، ولكن تجدّدها يحدث للنفوس من الرهبة والفزع إلى الله ما لا تحدثه الآيات المستمرة، فتجدُّد هذه النعم في اقتضائها لسجود الشكر كتجدّد تلك الآيات في اقتضائها للفزع إلى السجود والصلاة"[3].

وقد يسال سائل عن السر في تخصيص النعمة المتجددة بالسجود دون المستدامة، مع أن نعم الله على العباد دائمة؛ والجواب من وجوه: "أحدها: أن النعمة المتجددة تذكّر بالمستدامة، والإنسان موكّل بالأدنى والثاني: أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجدّدة، وكان أسهلها على الإنسان وأحبها إلى الله السجود شكرًا له، والثالث: أن المتجددة لها وقع في النفوس، والقلوب بها أعلَق، ولهذا يُهنّأ بها، ويعزّى بفقدها"[4].

رابعا: أقسام النعم من حيث كونها أصولا وفروعا:

يعدّد الله سبحانه في القرآن من نعمه بأن من على عباده بنعمة الحياة والإيجاد من العدم، ثم أعطاهم آلات العلم، فيذكرُ الفؤادَ والسمعَ والأبصار، ومرةً يذكرُ اللسانَ الذي يُتَرْجِمُ عن القلب، وغير ذلك من النعم.

---

[1] – كتاب إحياء علوم الدين ص99.

[2] – إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية 313.

3 – إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية ص313.

4 – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية ص 261.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لكن هذه النعم ليست على وزان واحد فمنها أصول ومنها فروع ومكملات؛ يقول ابن القيم رحمه الله في شأن سورة النِّعم" وهي سورة النحل التي ذكر فيها أصولَ النِّعم وفروعَها ومتمِّماتها ومكمِّلاتها، فعدَّدَ نعمَه فيها على عباده، وتعرَّف بها إليهم، واقتضاهم شكرَها ، وأخبر أنه يتمُّها عليهم ليعرفوها ويذكروها ويشكروها، فأوَّلها في أصول النِّعم، وآخرُها في مكمِّلاتها، قال تعالى:(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل: 78)"[1].

فالحياة أصل النعم ذلك أن أول ما أنعم الله به على عبيده هو أن خلقهم أحياء، ثمَّ أعطاهم الأسماعَ والأبصارَ والأفئدةَ التي هي آلات العلم. والدليل عليه قوله تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ،هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) إلى آخر الآية ، وهذا صريح في أن أصل النعم الحياة لأنه تعالى أول ما ذكر من النعم فإنما ذكر الحياة ثم إنه تعالى ذكر عقيبها سائر النعم وأنه تعالى إنما ذكر المؤمنين ليبين أن المقصود من حياة الدنيا حياة الآخرة والثواب، يقول الرازي:" فذكر تعالى من نعمه ما هو الأصل في النعم وهو الإحياء ، فهذا هو المقصود الكلي"[2].

خامسا: أنواع النعم باعتبار طريق وصولها إلى العباد:

تنقسم النعم بالنظر إلى الطريق التي بها تصل إلى العباد إلى ثلاثة اقسام: " أحدها : نعمة تفرد الله بها نحو أن خلق ورزق، وثانيها : نعمة وصلت إلينا من جهة غيره بأن خلقها وخلق المنعم ومكنه من الإنعام وخلق فيه قدرة الأنعام وداعيته ووفقه عليه وهداه إليه ، فهذه النعمة في الحقيقة أيضا من الله تعالى ، إلا أنه تعالى لما أجراها على يد عبده كان ذلك العبد مشكورا ، ولكن المشكور في الحقيقة هو الله تعالى، ولهذا قال :(أن اشكر لي ولوالديك) فبدأ بنفسه ، وقال عليه السلام : "لا يشكر الله من لا يشكر الناس "، وثالثها : نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا وهي أيضا من الله تعالى لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى وفقنا على الطاعات وأعاننا عليها وهدانا إليها وأزاح الأعذار وإلا لما وصلنا إلى شيء منها ، فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله "[3]. ورغم أن الطرق قد تبدو في ظاهره مختلفة إلا أن المصدر واحد وهذا ما يقرّره الله تعالى في قوله: (وما بكم من نعمة فمن الله) (النحل:53).

سادسا: أنواع النعم بحسب مراتبها:

---

[1] – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ص293.

[2] – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (2\138).

[3] – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (3\31).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

النعم كلها من عند الله، لكن حكمة الله تعالى اقتضت ألاّ تكون على وزان واحد، فجعل بعضها أرفع من بعض، وجعل البعض منها في الدرجة الدنيا تصحيحا للأفهام ودفعا للأوهام. فالنعم مراتب كثيرة أقتصر على أعلاها وأدناها والحقيقي منها وغيره:

1- معرفة الله أفضل النعم: يقول ابن القيم رحمه الله:" إن أفضل النعم وأجلها على الْإِطْلَاق نعْمَة مَعْرفَته تَعَالَى وحمده وطاعته فَإِن أُرِيد أَن فعل العَبْد يكون كفو النعم ومساويا لَهَا بِحَيْثُ يكون مكافئا للنعم عَلَيْهِ وَمَا قَامَ بِهِ من الْحَمد ثمنا لنعمه وقياما مِنْهُ بشكر مَا أنعم عَلَيْهِ بِهِ وتوفية لَهُ فَهَذَا من أمحل الْمحَال فَإِن العَبْد لَو أقدره الله على عباده الثقلَيْن لم يقم بشكر أدنى نعْمَة عَلَيْهِ بل الْأَمر كَمَا روى الإِمَام أَحْمد فِي كتاب الزّهْد حَدثنَا عَن الرَّحْمَن قَالَ ثَنَا الرّبيع ابْن صبيح عَن الحسن قَالَ قَالَ دَاوُد النَّبِي لَو أَن لكل شَعْرَة مني لسانين تسبحانك اللَّيْل وَالنَّهَار والدهر كُله مَا قضيت حق نعْمَة وَاحِدَة"[1].

2- صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة: رغم أن صحة البدن تبدو بميزان الدنيا أفضل النعم، لكن لكونها نعمة عاجلة، فإنها في ميزان الله تبقى في مرتبة متأخرة. ولعل قائلا يقول إن هذه النعمة لها سوابق ولواحق، فلا بدلها من أسباب من مأكول ومشروب وحركة وتدبير وسعي وتوفيق وغيرها من النعم الكثيرة، لكن رغم كل ذلك تبقى في ذاتها دون الكثير من النعم الكبرى؛ يقول ابن القيم: "اعلم أنّا جمعنا النعم في ستة عشر ضرباً، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء"[2].

3- النعم حقيقية ومجازية:

دلّت آيات القرآن الكريم على أن نعم الدنيا مجاز ونعم الآخرة حقيقة؛ ذلك أن حقيقة النعمة هي سعادة الآخرة وتسمية ما سواها سعادة مجاز. يقول تعالى:" وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَهو وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوكَانُواْ يَعْلَمُونَ)

[1] – كتاب صيغ الحمد لابن القيم الجوزية ص28.

[2] – كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ص109.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

(العنكبوت:64)؛ سميت الدنيا كذلك لانها فانية، والحيوان معناه الحياة الدائمة والباقية؛ فما يعطاه الله الأغنياء من الدنيا يضمحل ويزول، وقد ورد تشبيهه باللعب لأنه لا حقيقة له ولا ثبات، يقول الطبري:" ما باغي لذات الحياة التي أدنيت لكم وقربت منكم في داركم هذه ، ونعيمها وسرورها ، فيها ، والمتلذذ بها ، والمنافس عليها ، إلا في لعب ولهو ، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها بملاذها ، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها ، فتمر عليه وتكدر ، كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ، ثم يعقبه منه ندما ، ويورثه منه ترحا"[1]. أن فثبت أن اللّذات والأحوال الدنيوية المستطابة لعب ولهو وليس لها حقيقة معتبرة، إنما تسمى نعما على سبيل المجاز ؛ يقول ابن القيم:"اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بوسطة واحدة أو بوسائط فإن تسمية نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية"[2].

سابعا: أنواع النعم بحسب إدراكها:

العلم عطاء من الله وآلته نعمة من الله، لذلك فإن ما يتحصّل بها من علوم ومعارف موكولة إلى مشيئة الله سبحانه فيعرّف من يشاء بما يشاء ويصرفه عمّن يشاء، ومن ذلك إدراك حقائق النعم والعلم بها. فمن النعم من جعل لنا سبيل إلى إدراكها، ومنها ما حجب عنا واستأثر الله بعلمها؛ يقول ابن القيم:" النعم ثَلَاثَة: نعْمَة حَاصِلَة يعلم بهَا العَبْد ونعمة منتظرة يرجوها ونعمة وَهُوَ فِيهَا لَا يشْعر بهَا فَإِذا أَرَادَ الله إتْمَام نعْمَته على عَبده عرّفه نعْمَته الْحَاضِرَة وَأَعْطَاهُ من شكره قيدا بِهِ حَتَّى لَا تشرد فَإِنَّهَا تشرد بالمعصية وتقيّد بالشكر ورفقة لعمل يستجلب بِهِ النِّعْمَة المنتظرة وبصَّره بالطرق الَّتِي تسدها وتقطع طريقها ورفقة لاجتنابها وَإِذا بهَا قد وافت إِلَيْهِ على أتم الْوُجُوه وعرّفه النعم الَّتِي هُوَ فِيهَا فَلَا يشْعر بهَا "[3].

المبحث الثالث: أسباب حفظ النعم:

ينقسم حفظ النعم إلى قسمين: حفظها من جانب الإيجاد بالإتيان بأسباب تحصيلها وإقامة اركانها أو باسترجاعها بعد فواتها، وحفظها من جانب العدم باجتناب ما يذهبها من أسباب زوالها.

---

[1] – تفسير الطبري(11\329).

[2] – كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ص99.

[3] – كتاب الفوائد لابن القيم الجوزية ص172.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أولا :حفظ النعم من جانب الوجود؛ ويكون بالأسباب الآتية:

أ- الطاعات تجلب النعم وتحفظها من الزوال:

جعل الله الطاعات أسبابا للظفر بالنعم العاجلة والآجلة؛ كما جعلها الحق سبحانه حافظة لها من الزوال، ذلك أن الرعاية لها تكون بالطاعات وخسارتها تكون بالمعاصي، وكل ذلك بتوفيق الله تعالى. يقول ابن القيم:"إنّ نعم الله ما حُفِظ موجودُها بمثل طاعته، ولا استُجْلِبَ مفقودُها بمثل طاعته، فإنّ ما عنده لا يُنال إلا بطاعته. وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببًا وآفةً: سببًا يجلبه، وآفة تبطله. فجعل أسبابَ نعمِه الجالبةَ لها طاعتَه، وآفاتِها المانعةَ منها معصيتَه. فإذا أراد حفظَ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذَلَه حتى عصاه بها"[1].

ب- الصبر على البلاء، (النعيم لا يدرك بالنعيم) :

من سنن الله في خلقه سنة الأضداد فجعل الأشياء تدرك بضدّها ومنها "أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن الراحة لا تنال بالراحة، وأن من آثر اللذات فاتته اللذات، فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم؛ إذ هي أسباب النعم"[2].

إن النّعم بمختلف مراتبها لا تنال بقسط إلا من المشقة، فالمطالب العليا حُفّت بالمكاره، والمسالك الدنيئة حفّت باليسر والشهوات، قال الرازي في تفسير قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) (البلد:10): "الاقتحام الدخول في الأمر الشديد يقال : قحم يقحم قحوما ، واقتحم اقتحاما وتقحم تقحما إذا ركب القحم ، وهي المهالك والأمور العظام والعقبة طريق في الجبل وعر ، الجمع العقب والعقاب ، ثم ذكر المفسرون في العقبة ههنا وجهين :الأول : أنها في الآخرة وقال عطاء : يريد عقبة جهنم.... الوجه الثاني : في تفسير العقبة هو أن ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر ، وهو قول الحسن ومقاتل : قال الحسن عقبة الله شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن ، وأقول هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى يفاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه وبينها عقبات سامية دونها صواعق حامية ، ومجاوزتها صعبة والترقي إليها شديد"[3]. فالمصالح والخيرات واللذات و الكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب؛ يقول ابن القيم:" و قد أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم و أن من آثر الراحة فاتته الراحة و انه بحسب ركوب الأهوال و احتمال المشاق تكون الفرحة و اللذة ، فلا فرحة لمن لا هم له ، و لا لذة لمن لا صبر له و لا نعيم لمن لا

[1] – كتاب الداء والدواء الجواب الكافي ص249.

[2] – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص 285.

[3] – التفسير الكبير للفخر الرازي(31\168).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

شقاء له و لا راحة لمن لا تعب له ، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة"[1].

فالمطالب والكمالات والمكارم منوطة بالمكاره ، و السعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة، فلا ينالها إلا من امتطى سفينة العزم والاجتهاد؛ فالعلم لا يؤتى براحة الجسم، من أراد الراحة فعليه ترك الراحة؛ يقول ابن القيم: "فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من خلافها، فأخرج الأضداد والأشياء من خلافها ، فأخرج الحي من الميت، والميت من الحي، والرطب من اليابس، واليابس من الرطب، فكذلك أنشأ اللذات من الآلام، والآلام من اللذات، فأعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها، وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها"[2]. و عن عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح ، قَال : قَال لي ابْن عَبَّاس: " أَلا أُرِيك امْرَأَة مِن أَهْل الجَنَّةِ ؟ قُلْتُ: بَلَى . قَالَ : هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ لِي . قَالَ : (إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ) ، فَقَالَتْ : أَصْبِرُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ ، فَدَعَا لَهَا "[3].

ج- نسبة النعم إلى المنعم:

هذه النسبة تكون بذكر النعم والتحدّث بها والبراءة من الحول والقوة في تحصيلها ونسبة كل توفيق إليها لله تعالى بالاعتراف بأن هذه النعم من عنده سبحانه.(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى:11). يقول القرطبي:" قوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث)؛ أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء . والتحدث بنعم الله ، والاعتراف بها شكر"[4]. ويقول صاحب الكشاف" التحديث بنعمة الله: شكرها وإشاعتها، يريد: ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك. عن مجاهد : بالقرآن، فحدث: أقرئه، وبلغ ما أرسلت به. وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول: رزقني الله البارحة خيرا: قرأت كذا وصليت كذا، فإذا قيل له: يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا؟ قال: يقول الله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة الله. وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف، وأن يقتدي به غيره، وأمن على نفسه الفتنة"[5]. ودليل ذلك عند العقلاء أن كل النعم هي من عند الله، فهو مرتّب النتائج على الأسباب، ولم ويجعل لأحد

---

[1] – مفتاح دار السعادة ص(372 .373).

[2] – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص 285.

[3] – رواه البخاري (5652) ، ومسلم (2576) .

[4] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (20\89.

[5] – تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري (6\394).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

من المخلوقات سبيل إلى ذلك، ونسبة الفعل للأسباب شرك؛ يقول تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله)(النحل:53). يقول أبو زهرة:" الذي بكم من نعمة في الصحة والعقل والغذاء والكساء والمأوى، والماء الذي تشربون، والدفء الذي به تستدفئون، كل هذا وغيره مما غمركم به من نعم سابغات، فمن الله تعالى المنعم المتفضل على غيره، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومما ينبغي أن يعلم : ما قاله طائفة من العلماء. قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد . ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع . وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع "[2].

وحتى الشكر الذي هو اعتراف وثناء من لدن المنعم عليه يجب ان يكون خالصا وان ينسب التوفيق فيه إلى الله تعالى وهذا تمام الشكر؛ يقول ابن القيم: "والكمال: أن تشهد النعمة والمنعم، لان شكره بحسب شهود النعمة، فكلما كان تم كان الشكر اكمل. والله يحب من عبده أن يشهد نعمه ويعترف بها، ويثني عليه بها، ويحبّه عليها، لا أن يفنى عنها، ويغيب عن شهودها...قال داوود عليه السلام: يا رب كيف أشكرك؟ وشكري لك نعمة علي من عندك تستوجب بها شكرا. فقال الآن شكرتني يا داوود"[3].

هـ- الشكر صيد وقيد (جالب وحافظ):

الشكر لغة: هو الثناء على من يُوليكَ بمعروف والقيام بحقّه، قال الراغب: "الشُّكر تصور النِّعمة وإظهارُها"[4] ، وقال ابن منظور: "الشُّكر عِرفانُ الإحسان ونشرُه، والشُّكر من الله: المجازاةُ والثناءُ الجميلُ"[5]، وعرّف بأنه:" عِرفان النعمة وإظهارها والثناء بها"[6].

---

[1] – زهرة التفاسير لابي زهرة(8\4195).

[2] – مجموع الفتاوى لابن تيمية (8 / 169) .

[3] – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية ص57.

4 – مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ص 265.

5 – لسان العرب (2305/4).

6 – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية ص371.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والشكر اصطلاحا: هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ، قال ابن القيم: الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً"[1]. وقيل: "شكر النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة، والقيام بالخدمة"[2]. وقيل: "الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الإستكانة[3]" .

والشكر سبب في جلب النعم وحفظها فهو جالب النعم وحافظها بعد حصولها؛ "ولهذا كانوا يسمون الشكر "الحافظ"؛ فإنه الذي يحفظ النعم الموجودة، و"الجالب"؛ فإنه يجلب النعم المفقودة. وذكر ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرجل من همدان: "النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قَرَن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد"[4].

و الشُّكر قيد النِّعم الموجودة، وصيد النِّعم المفقودة، فهو مجلبة لها وحصن يمنع ذهابها وزوالها؛ قال عمر بن عبد العزيز: "قيِّدوا نعم الله بشكر الله". النعم تقيّد بالشكر وتتفلّت بدونه؛ يقول ابن القيم: "فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرَّفَه نعمتَه الحاضرة وأعطاه من شكره قيدًا يُقيِّدُها به حتى لا تَشرُد؛ فإنها تَشرد بالمعصية وتُقيَّدُ بالشكر. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصَّره بالطرق التي تسُدُّها وتقطع طريقها ووفَّقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافتْ إليه على أتم الوجوه. وعرَّفه النعمَ التي هو فيها ولا يشعر بها"[5].

وللشكر أركان لا يقوم بدونها، وهي ثلاثة لا يكون الإنسان شكورا إلا بها مجموعة؛ فالركن هو ما يلزم من وجوده الوجود ويلزم من عدمه العدم كما هو معلوم ، وهذه الأركان " أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه. والثاني: الثناء عليه بها. والثالث: الاستعانة بها على مرضاته"[6].

وأعظم هذه الأركان هو معرفة النعمة ذلك أنه" لَمَّا كَانَ مَعْرِفَتُهَا رُكْنَ الشُّكْرِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي يَسْتَحِيلُ وُجُودُ الشُّكْرِ بِدُونِهِ: جُعِلَ أَحَدُهُمَا اسْمًا لِلْآخَرِ"[7]. فإذا أنعم الله على عبده بشيء فشكر الله على ذلك، فإن ذلك مما يثبّت تلك النعم ويحفظها

1 – مدارج السالكين لابن القيم(244/2).

2 – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص290.

3 – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص290.

4 – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص226.

5 – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية ص227.

6 – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص290.

7 – مدارج السالكين ص237.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

من الزوال، والشكر في حدّ ذاته نعمة يتفضل بها الله تعالى على من اصطفاه من عباده. "والكمال: أن تشهد النِّعمة والمنعم، لأنَّ شكره بحسب شهوده للنِّعمة، فكلَّما كان أتمَّ كان الشُّكر أكمل. والله يحبُّ من عبده أن يشهد نعمه، ويعترف بها، ويثني عليه بها، ويحبُّه عليها، لا أن يفنى عنها ويغيب عن شهودها"[1].

والله تعالى يحب من عبده أن يرى عليه أثر نعمته ، فإن ذلك شكر لها بلسان الحال، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يُحدِّث بنعمه فقال: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى: 11). وقال مطرف بن عبد الله "لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن ابتلى فأصبر"[2].

والشكر شكران شكر العامة وشكر الخاصة؛"وشكر العامَّة على المطعم والملبس وقوت الأبدان، وشكر الخاصَّة على التوحيد والإيمان وقوت القلوب"[3].

وقد شرع سجود الشكر لأنه أحد أسباب حفظ النعم؛ ذلك أن "حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها، وكثيرًا ما يجرّ ذلك إلى الأشر والبطر، والسجود ذلٌّ لله وعبودية وخضوع، فإذا تلقّى به نعمته كسر سَوْرة فرح النفس وانبساطها، فكان جديرًا بدوام تلك النعمة، وإذا تلقاها بالفرح الذي لا يحبه الله والأشر والبطر كما يفعله الجهال عند ما يحدث الله لهم من النعم– كانت سريعة الزوال، وشيكة الانتقال، وانقلبت نقمة، وعادت استدراجًا"[4].

و– الذكر جلّاب للنعم، دافع للنقم.

ورد عن مجاهد في قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (الإسراء:3). قال: "لم يأكل شيئًا إلا حمد الله عليه، ولم يشرب شرابًا إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبدًا شكورًا"[5]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها"[6].

---

[1] – مدارج السالكين لابن القيم. ص57.

[2] – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص120.

[3] – مدارج السالكين ص591.

[4] – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص262.

[5] – كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص70.

[6] – رواه مسلم (2734).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يقول ابن القيم رحمه الله: "ما استُجْلِبَتْ نعم الله عز وجل واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلَّابٌ للنِّعَم، دفّاعٌ للنِّقَم ، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)، وفي القراءة الأخرى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ) (الحج: 38)، فَدَفْعُه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادَّةُ الإيمان وقُوَّتُه بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَصَ نَقَصَ، ذِكْرًا بِذِكْرٍ، ونسيانًا بنسيان"[1].

ذكر البيهقيُّ عن زيد بن أسلم، أن موسى عليه السلام قال: "يا رب، قد أَنْعَمْتَ عليَّ كثيرًا فَدُلَّني على أن أشكرك كثيرًا" قال: "اذكرني"[2].

الحمد مجلبة لزيادة النعم:

الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعم من الشكر من جهة أن الشكر لا يكون إلاّ على نعمة أسداها المشكور للشاكر ، فالحمد يكون بغير مقابلة نعمة ، أما الشكر فهو أعم من الحمد من جهة أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد باللسان فقط [3].

وللحمد أثر في حفظ النعم من جانب العدم؛ جاء في عدة الصابرين :"قال الحسن : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما أعطى أكثر مما أخذ قال ابن أبى الدنيا وبلغنى عن سفيان بن عيينة أنه قال هذا خطأ لا يكون فعل العبد أفضل من فعل الله ثم قال وقال بعض أهل العلم انما تفسير هذا أن الرجل اذا أنعم الله عليه نعمة وهو ممن يجب عليه أن يحمده عرفه ما صنع به فيشكر الله كما ينبغى له أن يشكره فكان الحمد له أفضل" [4].

المبحث الرابع: خصائص النعم:

أولا :من خصائص النعم أنها لا تدخل تحت الحصر:

إن نعم الله على عبيده غير متناهية، فلا يمكن عدّها وحصرها قال تعالى:(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)؛ يقول الطبري:" وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم

[1] – كتاب الوابل الصيب ص173.

[2] – الوابل الصيب لابن القيم الجوزية ص161.

[3] – انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لأحمد حطيبة ص4

[4] – كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص131.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عليها"[1]. وقال القرطبي:" لا تحصوها ولا تطيقوا عدها ، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها ، كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق نعم لا تحصى"[2]. والاحصاء مأخوذ من الحصى لأنه كان وسيلة العدّ قديما، يقول الطاهر بن عاشور:" والإحصاء : ضبط العدد ، وهو مشتق من الحصا اسما للعدد ، وهو منقول من الحصى ، وهو صغار الحجارة ; لأنهم كانوا يعدون الأعداد الكثيرة بالحصى تجنبا للغلط"[3]. يقول ابن القيم: "وإنما لا يمكن ذلك ،ي عني الحصر، لأن كل ما أودع فينا من المنافع واللذات التي ننتفع بها والجوارح والأعضاء التي نستعملها في جلب المنافع ودفع المضار وما خلق الله تعالى في العالم مما يلتذ به ويستدل على وجود الصانع وما وجد في العالم مما يحصل الانزجار برؤيته عن المعاصي مما لا يحصى عدده...فثبت أن جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد، ولما كانت العقول قاصرة عن تعديد ما في أقل الأشياء من المنافع والحكم فكيف يمكن الإحاطة بكل ما في العالم من المنافع والحكم "[4].

نعم الله على الكافر في الدنيا استدراج:

الاستدراج في اللغة "استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال ، درجة بعد درجة ، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه ، وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم ، مات بعضهم عقيب بعضهم ، ويحتمل أن يكون هذا اللفظ مأخوذ من الدرج وهو لف الشيء وطيه جزءا فجزءا"[5]. وفي الاصلاح إغراء العبد بما يشتهيه لإيقاعه في عاقبة السوء من حيث يظن أنّه في النعمة. وسبب الاستدراج اغترار المستدرج بحلم الله وعدم أداء حق النعمة ومقابلة ذلك بالاستكبار والظن أن ما أوتيه سببه محبة الله له، فيستمر منغمسا في المعصية والمخالفات حتى يحلّ به غضب الله. فقد جاء عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) (الأنعام:44)"[6].

---

[1] – تفسير الطبري (16\17).

[2] – تفسير القرطبي (321\9).

[3] – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(235\14).

[4] – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (30\3).

[5] – مفاتيح الغيب(61\15).

[6] – رواه الإمام أحمد (17311).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لقد خلق الله تعالى الناس وأودع فيهم آلات العلم و جعل لهم سبل الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وابتعاث العلماء، كل ذلك ليبلوهم أيهم يؤمن وأيهم يكفر. و جعل نعمه في الدنيا عامة للمؤمن وغير المؤمن، لكنها في حق هذا نعمة وفي حقّ ذاك نقمة. فالنعم التي يصيبها الكافر في الدنيا استدراج وإملاء ،فهي أشبه ما تكون بالحلوى التي فيها سم، ظاهر الحلوى النعمة وباطنها الهلاك؛ فلم يعد النفع الحاصل من أكل الحلوى نعمة؛ لهذا قال تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) (آل عمران: 178).يقول السعدي:" أي: ولا يظن الذين كفروا بربهم ونابذوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خير لأنفسهم، ومحبة منا لهم.كلا ليس الأمر كما زعموا، وإنما ذلك لشر يريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين فالله تعالى يملي للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليحذر الظالمون من الإمهال، ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال"[1].

وفي ذلك يقول تعالى:(والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين)(الأعراف:).يقول الرازي:" المعنى سنقربهم إلى ما يهلكهم ، ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم ، وذلك لأنهم كلما أتوا بجرم أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من أبواب النعمة والخير في الدنيا ، فيزدادون بطرا وانهماكا في الفساد وتماديا في الغي ، ويتدرجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ، ثم يأخذهم الله دفعة واحدة على غرتهم أغفل ما يكون ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما حمل إليه كنوز كسرى: (اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني سمعتك تقول: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)"[2].

تغيير النعم سنة إلهية:

السنة في اللغة: " السيرة حسنة كانت أو قبيحة. والأصل فيه الطريقة والسيرة"[3].قال الفيومي: "السنة: الطريقة. والسنة السيرة حميدة كانت أو ذميمة، والجمع سنن"[4].

1 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (2\263).

2 – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (15\61).

3 –لسان العرب (399–400)

4 – المصباح المنير ص:292

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وسنة الله في التغيير "هي: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناء على سلوكهم، وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[1].

قال ابن تيمية: "وهذا التغيير نوعان: أحدهما: أن يبدو ذلك فيبقى قولا وعملا يترتب عليه الذم والعقاب، والثاني: أن يغيروا الإيمان الذي في قلوبهم بضده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور، وكذلك ما في النفس مما يناقض محبة الله والتوكل عليه والإخلاص له والشكر له يعاقب عليه؛ لأن هذه الأمور كلها واجبة فإذا خلي القلب عنها واتصف بأضدادها استحق العذاب على ترك هذه الواجبات"[2].

قال الله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد:11)،"أي إن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم أي ما اتصفت به أنفسهم من الأحوال الحميدة، فإذا حصل هذا التغيير منهم فقدوا ما عندهم من نعمة"[3].

ومعلوم أنهم إذا كانوا على عادتهم الموجودة يقولون ويفعلون ما هو خير لم يكونوا قد غيروا ما بأنفسهم، فإذا انتقلوا عن ذلك فاستبدلوا بقصد الخير قصد الشر، وباعتقاد الحق اعتقاد الباطل، قيل قد غيروا ما بأنفسهم مثل من كان يحب الله ورسوله والدار الآخرة فتغير قلبه وصار لا يحب الله ورسوله والدار الآخرة فهذا قد غير ما في نفسه. ومن ذلك قوله تعالى: (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم) (الأنفال:53). فنعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءا ودواما بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فمادامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكنة فيها، كانت تلك النعم ثابتة بثباتها حسب سنة الله تعالى العامة في خلقه، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب من محاسن الأعمال غير الله عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم فصار الغني فقيرا والعزيز ذليلا والقوي ضعيفا، هذا هو الأصل المطرد في الأقوام والأمم وكذلك في الأفراد[4].

1 –السنن الإلهية للدكتور عبد الكريم زيدان ص:13

2 – مجموع الفتاوى (109/14)

3 – أنظر الزمخشري ج 2، ص 517 والألوسي ج 13، ص 16.

4 – تفسير المنار، ج 1، ص 37.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومن أمثلة تغيير الله لنعمه ما ورد في شأن أهل سبأ، قال تعالى: (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور"[1].

فهذه الآيات الكريمة تصف حال أهل سبأ، وقد كان من أخبارهم انهم كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وفي عيشهم واتساع أرزاقهم ، وقد بعث الله إليهم الرسل تأمرهم بأن يأكلوا من رزقه ويتمتعوا بنعمه ويشكروه عليها ، لكنهم أعرضوا عن توحيد الله وشكره وعبدوا غيره، فأرسل عليهم المطر الشديد، فأغرق أرضهم وأهلك اقواتهم. وبدّل سبحانه النعم السابقة ببساتين ذواتي أكل خمط وأثل وقليل من السدر. ثم بين تعالى أن ما حل بهم من العقاب "إنما هو جزاء كفرانهم النعمة التي أنعم الله بها عليهم، وهل يعاقب إلا الكفور بنعم الله تعالى"[2].

وسنة الله في تغيير النعم لا تستثني الجماعة المسلمة، فما دامت مستمسكة بشرع الله في حياتها، فإن نعم الله عليها بالتأييد والنصر ودفع الأذى عنها، باقية. لكنها إن غيرت ذلك فلم تتقيد بشرع الله في سلوكها وفرطت في عقيدتها، فإنها تسلب من نعم الله بقدر ما ضيعته من موجبات هذه النعم.

المبحث الخامس: أسباب زوال النعم:

من سنن الله في خلقه أن لا يغير أحوال الناس من الخير إلى الشر إلا بتوفر الأسباب المؤدية إلى ذلك ومنها:

أولا: المعاصي والذنوب:

من عقوبات الذنوب ، أنها تذهب النعم ، وتحل النقم ، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب اقترفه، ولا نزل به نقمة إلا بمعصية ؛ ففي الحديث القدسي: (وعزتي وجلالي ما تغير عبد من عبادي مما أكره إلى ما أحب إلا تغيرت له مما يكره إلى ما يحب، وعزتي وجلالي ما تغير عبد من عبادي مما أحب إلى ما أكره ،يعني من المعاصي، إلا تغيرت له مما يحب إلى ما يكره)[3]. وقال علي رضي الله عنه: " ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة [4]. "فأخبر الله تعالى أنه

1 – سورة سبأ الآيات 15-17.

2 – ابن كثير (3\ 530) والزمخشري (3\ 573-574) والألوسي(22\ 126).

3 – الداء والدواء لابن القيم ص180.

4 –أنظر طريق الهجرتين ص:415 وانظر مجموع الفتاوى (163/8).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لا يغير نعمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه ، فيغير طاعة الله بمعصيته ، وشكره بكفره ، وأسباب رضاه بأسباب سخطه ، فإذا غيّر غيّر الله عليه، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد"[1]. قال الله تعالى:(ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)(النساء: 79). وقال تعالى:(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) (سورة الشورى 25). وقال تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا ءاخرين) (الأنعام :6). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"[2].

قال ابن القيم: "وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) (الرعد:11) ، ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب. فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن البعد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس، ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له"[3].

ثانيا-الظلم:

1 – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (1\75).

2 –رواه ابن ماجة في الفتن باب العقوبات من حديث ابن عمر 4009 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 106.

3 –بدائع الفوائد (2/432).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وقال تعالى: (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين) (يونس:13)؛ يخبر الله تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بسبب ظلمهم وكفرهم، بعدما جاءتهم البينات على أيدي رسله ومنهج الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. ف سلبهم نعمه وأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم. وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) (هود:102) [1]. هذا مثال مضروب للقرى القائمة الظالمة وقياس على الأمم الظالمة التي سبقت كغرق قوم نوح، والرجفة التي أخذت ثمود ومدين، وغيرهم يقول أبو زهرة:" وإن ذلك الماضي إنذار للحاضرين من القرى الظالمين كالمشركين في مكة الذين يتحدون الله ورسوله، ويحسبون أنهم الغالبون، والله تعالى غالب على أمره...فقال عز من قائل: (إن أخذه أليم شديد) أي: إن أخذه المفاجئ الذي لا يرتقبونه فوق ما فيه من ألم المفاجأة، وهم يرتعون ويلعبون هو في ذاته مؤلم موجع وشديد في إيلامه وفي حاله، وحالهم معه كانوا ينتظرون مطرا يمطرهم، فإذا هو ريح فيها عذاب أليم"[2]. وقال تعالى: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا)[3] . يقول أي: بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشياء والنظائر صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا، فإنهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم"[4].

يقول الرازي:" واعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين : الظلم للخلق ، والإعراض عن الدين الحق ، أما ظلم الخلق فإليه الإشارة بقوله : (وبصدهم عن سبيل الله) ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص في طلب المال ، فتارة يحصلونه بالربا مع أنهم نهوا عنه ، وتارة بطريق الرشوة وهو المراد بقوله : (وأكلهم أموال الناس بالباطل) ونظيره قوله تعالى : (سماعون للكذب أكالون للسحت) (المائدة : 42) فهذه الأربعة هي الذنوب الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا وفي الآخرة

1 –اخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى وكذلك اخذ ربك(4318).

2 – زهرة التفاسير لابن زهرة (3751\7).

3 – سورة النساء 160.

4 – روح المعاني للألوسي (14\6).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

، أما التشديد في الدنيا فهو الذي تقدم ذكره من تحريم الطيبات عليهم ، وأما التشديد في الآخرة فهو المراد من قوله : (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما)"[1].

وفي قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد 11)، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: (إن الله لا يغير ما بقوم) من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم (حتى يغيّروا ما بأنفسهم) من ذلك بظلم بعضهم بعضا، واعتداء بعضهم على بعض فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره"[2].

4-ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى: (لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهَون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون) (المائدة:78-79). وقال تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) (الأنفال :25) . يقول أبو السعود:"(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أي: لا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره، كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهنة في الأمر والنهي عن المنكر، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد"[3].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا بهن فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه، فقالوا: مالك. قال: تأذيتم بي ولابد لي من الماء. فإن اخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه واهلكوا أنفسهم"4. ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة . وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال علماؤنا : فالفتنة إذا عمت هلك الكل . وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير ، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها. وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم ; كما في قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا لا

1 – التفسير الكبير مفاتيح الغيب للفخر الرازي (11\83).

2 –جامع البيان (16/382-383).

3 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (4\17).

4 – أخرجه البخاري (2493)، والترمذي (2173) واللفظ له، وأحمد (18361).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

نساكنكم. وبهذا قال السلف رضي الله عنهم . روى ابن وهب عن مالك أنه قال : تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها"[1].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" . وقعد سفيان تسعين أو مائة . قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"[2]. وعن جرير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا"[3].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: "إن الله تعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحقوا كلهم العذاب"[4]. وعن بلال بن سعد قال: "إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تغير ضرت العامة"[5].

وجاء في خبر بني إسرائيل قوله تعالى:(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به أَنجَيْنَا الَّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذينَ ظَلَمُوا بعَذَاب بَئيس بمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قرَدَةً خَاسئينَ) (الأعراف:166).فالله سبحانه وتعالى كتب النجاة لمن كان ينهى عن المنكر دون غيرهم، اما الظالمون الذين تمادوا في غيهم وطغيانهم فأنزل بهم نقمته؛ يقول أبو زهرة:" أنجاهم الله تعالى؛ لأنهم اهتدوا، ودعوا العصاة إلى الهداية فقاموا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأما الذين نسوا الذكر وغفلوا عنه وأهملوه فإن الله تعالى قال فيهم: وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون"[6].

5-التنافس على الدنيا:

1 ـ الجامع لأحكام القرآن(7\350).

2 -رواه البخاري في أحاديث الأنبياء باب قصة ياجوج وماجوج من حديث زينب بنت جحش (3097).

3 -رواه أبوداود في الملاحم باب الأمر والنهي(3776) .

4 - أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد (1351).

5 - أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد (1350).

6 - زهرة التفاسير (2\2990).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عن المسور بن مخزمة قال: قدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم وقال: "أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء"، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: "فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"[1].

قال ابن بطّال: "فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها. ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبا، والفقير آمن من ذلك"[2]. قال ابن حجر: "قوله: (فتنافسوها) التنافس: من المنافسة، وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، وأصلها من الشيء النفيس في نوعه. قوله: (فتهلككم) لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه، فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك"[3].

6- كفران النعم:

السبب الرئيس لزوال النعم هو كفرانها وعدم شكرها ،وقد قرر الله ذلك في قصة القرية التي ضربها مثلاً في قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (سورة النحل:112)، فكفرهم بنعم الله وعدم شكرها كان سبباً في نزول البلاء وزوال النعمة. يقول الطبري:" أي أنها بدل أن تشكر نعمة الله إذ منحها الأمن والعيش الرغد الهنيء، وهذا أقصى ما يطلب لمثل هذه القرية، بدل هذا كفرت، أي: رتبت على النعمة الكفر بها، وهذا عكس ما يترقب، ويتوقع منها. فكان هذا فيه معنى التوبيخ أو التهكم بأمرها، و(الأنعم) جمع نعمة، أو جمع نعمى، والمعنى النعم العالية التي بلغت أقصاها"[4].

1 – رواه البخاري في الجزية باب الجزية مع اهل الحرب من حديث عمرو بن عوف(2924).

2 –فتح الباري بشرح صحيح البخاري (11/249-250).

3 – نفس المصدر بتصرف.

4 ــ زهرة التفاسير لأبي زهرة (4\4825).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فالإعراض عن الله وكفران النعمة سبب في زوالها وحلول ضدّها ؛ قال تعالى (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ). يقول الطاهر بن عاشور:" والمعنى : ما يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور لأن ذلك الجزاء عظيم في نوعه ، أي نوع العقوبات فإن العقوبة من جنس الجزاء . والمثوبة من جنس الجزاء فلما قيل ذلك جزيناهم بما كفروا تعين أن المراد : وهل يجازى مثل جزائهم إلا الكفور"[1]. ويقول الألوسي:" (بما كفروا): بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها، وقيل بسبب كفرهم بالرسل الثلاثة عشر الذين بعثوا إليهم، (وهل نجازي إلا الكفور) أي ما نجازي مثل هذا الجزاء الشديد المستأصل إلا المبالغ في الكفران أو الكفر"[2].

7- الغفلة:

الغفلة مصدر من غَفَلَ عن الشَّيْءِ يَغْفُلُ غَفْلَةً وغُفُولاً، قَالَهُ الجَوهري في الصحاح[3]، وفي دار اللفظ لغويا يقول ابن فارِس: "الغين والفاء واللام أصلٌ صحيح يَدُلُّ على تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوَاً وربما كان عن عَمْد، من ذلك غفلتُ عن الشَّيْءِ غَفْلَةً وغُفُوْلاً، وذلك إذا تَرَكْتَه ساهياً، وأغْفَلْتَه إذا تَرَكْتَه على ذُكرٍ منك له"[4].

ويدور معنى الغفلة في الاصطلاح حول معاني السهو الناجم عن قلة التحفظ أو مانع يحول بين المرء وحقائق الأمور ، أو ذهاب الشيء عن المرء لانشغاله بغيره أو الاعراض وعدم الاعتبار[5]. والغفلة تعتري الناس ، فهي طارئة غير لازمة للإنسان بحيث تلتصق بالإنسان و تنفك عنه وتذهب، لكن الإصرار عليها يحوّلها إلى دأب وسجية، يقول الطاهر بن عاشر في الغافلين الذين لا يخافون لقاء الله:" غفلتهم عن آيات الله دأب لهم وسجية ، وأنهم يعتمدونها فتؤول إلى معنى الإعراض عن آيات الله وإباء النظر فيها عنادا ومكابرة . وليس المراد من تعرض له الغفلة عن بعض الآيات في بعض الأوقات"[6].

---

1 – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (23\174).

2 ــ روح المعاني للألوسي(22\129).

3 – – كتاب الصحاح في اللغة والعلوم للجوهري،فصل الغين مادة (غفل) ص3730.

4 – مقاييس اللغة باب الغين والفاء وما يثلثهما مادة(غفل) (4\386).

5 – انظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص462 تفسير البغوي (4\123)، وفتح القدير للشوكاني (1\613).

6 – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (12\99).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والغفلة من أسباب حجب النعم ؛ يقول الغزالي:" "اعلم أنّه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصوّر شكر النعمة إلا بعد معرفتها "[1]. قال تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف: 179).

فقد أخبر تعالى أنه خلق للنار أهلا عقابا لهم، ثم وصفهم بأنهم يمتلكون قلوبا غافلة لا تفقه ، ولا تعقل ثوابا ولا عقابا، فلا يرجون ولا يخافون، ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ، ولا تسمع آذانهم المواعظ ، فهم كالأنعام منتهى غاياتهم الشهوات ، بل إن الأنعام أكثر بصيرة منهم لأن الأنعام تبصر منافعها و مضارها ولا تعصي مالكها .

يقول الأوسي: "(هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة عما فيه صلاحهم. وقال عطاء: عما أعد الله تعالى لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب"[2].

وقال تعالى: (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ،وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يونس: 7، 8). هؤلاء لا يتوقعون لقاء الله أصلا، فهم محجوبون عنه لانغماسهم في الغفلة، ولانشغالهم باللّذات وحب المنافع العاجلة دون الانتباه للحقائق؛ انطمست بصائرهم فلا يخافون سوء اللقاء يوم القيامة ، ورضوا بالحياة الدنيا ، وسكنوا فيها سكون من ألفها ولا يطيق فراقها.

قال الطبري: "إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة ، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب ، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها ، راضون بها عوضا من الآخرة ، مطمئنين إليها ساكنين والذين هم عن آيات الله وهي أدلته على وحدانيته ، وحججه على عباده في إخلاص العبادة له (غافلون) ، معرضون عنها لاهون ، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه ، فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه ، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون (أولئك مأواهم النار) ، يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين هذه صفتهم (مأواهم) ، مصيرهم إلى النار نار جهنم في الآخرة (بما كانوا يكسبون) ، في الدنيا من الآثام والأجرام ، ويجترحون من السيئات"[3].

خاتمة:

1 – كتاب إحياء علوم الدين ص123.

2 – روح المعاني للألوسي 9\119.

3 – تفسير الطبري (15\26).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هذا ما يسره المنعم الكريم المنان من فهم في بيان حقيقة نعم الله وخصائصها وما يتصل بذلك من مسائل علمية ، استقيتها من القرآن الكريم والحديث الشريف ودرستها مستندا ومسترشدا بشروح السادة العلماء، من المفسّرين وشراح الحديث وعلماء اللغة وغيرهم من الأكابر المحقّقين.

فأصل النعمة المنفعة التي يستلذها الإنسان ويستطيبها القلب ، سواء أكانت عاجلة أم آجلة ، وسواء أكانت دنيوية أم كانت أخروية ، وسواء أكانت مادية أم كانت روحية . و النعمة في الاستعمال القرآني وردت بمعاني كثيرة؛ فجاءت النعمة بمعنى الصلاح والحالة الحسنة والمُستلذّة، و جاءت بمعنى الحجّة والمِنَّة، و جاءت بمعنى الوحي والرسالة، و جاءت بمعنى الإيمان و لزوم الاستقامة، و جاءت بمعنى الأمن والاستقرار وصلاح الحال، و جاءت بمعنى الثواب وجاءت بمعنى التّرف، و جاءت بمعنى الاستدراج و جاءت بمعنى العافية والسلامة والنجاة، و جاءت بمعنى إتمام الشرائع وإكمال الدين بتشريع الرّخص .

والنعم تنقسم باعتبارات كثيرة إلى عدة اقسام؛ فهي تختلف بحسب زمانها و باعتبار النّفع والضر و بحسب تجددها واستمرارها و من حيث كونها أصولا وفروعا و باعتبار طريق وصولها إلى العباد .

كما تختلف بحسب مراتبها؛ فأفضل النعم وأجلها على الْإِطْلَاق نعْمَة مَعْرفَته تَعَالَى وحمده وطاعته؛ فرغم أن صحة البدن تبدو بميزان الدنيا أفضل النعم، لكن لكونها نعمة عاجلة، فإنها في ميزان الله تبقى في مرتبة متأخرة. و النعم حقيقية ومجازية؛ فقد دلّت آيات القرآن الكريم على أن نعم الدنيا مجاز ونعم الآخرة حقيقة؛ ذلك أن حقيقة النعمة هي سعادة الآخرة وتسمية ما سواها سعادة مجاز. وتختلف النعم بحسب إدراكها؛ فمن النعم من جعل لنا سبيل إلى إدراكها، ومنها ما حجب عنا واستأثر الله بعلمها.

وقد جعل الله سبحانه أسبابا لحفظ النعم؛ فالطاعات تجلب النعم وتحفظها من الزوال و الصبر على البلاء باب عظيم لحفظها؛ ذلك أن النعيم لا يدرك بالنعيم والراحة لا تنال بالراحة. ومن ذلك أيضا نسبة النعم إلى المنعم سبحانه. والشكر صيد وقيد وجالب وحافظ؛ فالشُّكر قيد النِّعم الموجودة، وصيد النِّعم المفقودة. والذكر جلّاب للنعم، دافع للنقم.

ومن خصائص النعم أنها لا تدخل تحت الحصر؛ فهي غير متناهية، ونعم الله على الكافر في الدنيا استدراج و في تغييرها سنة إلهية.

وقد بين القرآن الكريم اسباب زوال النعم ، فجعل المعاصي سببا في ذلك ؛ فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة، ومن ذلك الظلم بأنواعه وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و التنافس على الدنيا وكفران النعم. وجعل الغفلة رأس ذلك كلّه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ) ، دار المعرفة – بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة 951هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط1418هـ.
- تفسير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المسمى التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة الطبع 1984 هـ .
- تفسير الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964م.
- تفسير زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة 1422هـ.
- تفسير زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت 1394هـ)، دار الفكر العربي.
- تفسير فتح الرحمن في تفسير القرآن ، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت 937 هـ)، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة)، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى 1366 هـ - 1947 م.
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، (ت: 774هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ/1997م.
- التفسير الكبير أو مفاتح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، المتوفى سنة 604هـ، ط 2، سنة 1403هـ/1983م، دار الفكر ببيروت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: محمود بن مر بن أحمد الزمخشري (ت 538 هـ)، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م.
- تفسير النكت والعيون ، بو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N15 العدد الخامس عشر : ص.ص 388-424
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، مؤسسة الرسالة،1420هـ،2000م.

–جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة310هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط3 1389هـ،1969م.

– –الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط 1965 م دار إحياء التراث العربي.

– الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م.

– الداء والدواء ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار ابن حزم (بيروت)، 1440 هـ – 2019 م

–الدر المنثور في التفسير بالماثور : عبد الرحمان بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) دار الفكر، بيروت: 1993.

–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة1270هـ، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

– سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420 هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415 هـ – 1995 م.

–سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة 275هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية ببيروت.

–سنن أبي داود للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى سنة 275هـ، راجعه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

–سنن الترمذي– الجامع الصحيح للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة 279هـ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط2، 1398هـ 1978م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

–السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة 458هـ، دار المعرفة ببيروت.

–سنن النسائي للحافظ أبي عبد الرحمان أحمد بن عبد الرحمان المتوفى سنة 303هـ، بشرح جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ببيروت.

–السنن الإلهية للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت 1413هـ،1993م.

– شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1398هـ/1978م .

–صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي المتوفى سنة 256هـ، اعتنت به إدارة الطباعة المنيرية، عالم الكتب ببيروت.

–صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط سنة 1400هـ،1980 م ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/10/2023
424-388 العدد الخامس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N15
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مجمع الفقه الإسلامي بجدة 1429هـ.

– عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، 1409هـ/ 1989م.

– فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى852هـ، إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

–في ظلال القرآن: سيد قطب دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة، 1400هـ/1980م.

– الزهد والرقائق لابن المبارك، من رواية الحسين المروزي :عبد الله بن المبارك المروزي (ت 181 هـ)، دار الكتب العلمية 2004،1425.

–الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (5380هـ)، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى: 1397هـ/1997م.

–لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المتفوى سنة711هـ، تحقيق : الأساتذة : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف بمصر.

–مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية المتوفى سنة 728هـ، ط 1 سنة 1403هـ/1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.

– محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)،تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت 1418هـ.

–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المتوفى سنة 451هـ، ط، 1402هـ، مطبعة دار العلوم بالدوحة.

– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية

– معالم التنزيل (تفسير البغوي): الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد (ت:516هـ)، تحقيق : خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية : 1414هأ/1994م.

–معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 503هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ/1997م.

–معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى : 1441هـ/1991م.

–مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى751هـ دار الكتب العلمية بيروت.